

عرض لنظرية الضبط الاجتماعي
أو الروابط الاجتماعية عند العالم
ترافيس هيرشي (Travis Hirschi)

قراءة في كتاب: "ترافيس هيرشي، أسباب جنوح الأحداث، ترجمة الدكتور محمد سلامة محمد غباري، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، بدون تاريخ.

An introduction to social control theory

Or social ties to the world

Travis Hirschi

Reading in a book: "Travis Hershey, Causes of Juvenile Delinquency,
translated by Dr. Mohamed Salama Mohamed Ghobari, Modern University
Office, Alexandria, Egypt, undated.

أ.د معتوق جمال

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة علي لونيبي البليدة 2

ملخص

نسعى من وراء هذا العمل عرض لاهم ما جاء في نظرية الضبط الاجتماعي و المسماة كذلك بنظرية الروابط الاجتماعية للعالم الامريكي ترافيس هيرشي. هذه النظرية هي ثمرة جهود متواصلة لهذا العالم. كما انها تعد من اهم المحاولات النظرية في ميدان علم الجريمة و علم الاجتماعي الجنائي الحديث و هذا لما تتميز به من اصالة و عمق في الطرح و التحليل.

لقد انطلق صاحب هذه النظرية من اشكالية معاكسة تماما لما هو معهود حيث تسال "لماذا الناس لا يرتكبون الجريمة" و من خلال الفحص المبرقي على عينة قدرت وحداتها ب 1313 وحدة توصل الى ان المانع يعود الى

عمق الروابط الاجتماعية التي تربط الفرد بباقي افراد المجتمع كعلاقته بالاسرة و جماعة الرفاق المدرسة و غيرها من مؤسسات التنشئة و التي تجعله يمثل للقانون و المعايير الاجتماعية المتفق عليها. تعد هذه الدراسة التي نقلت الى العديد من اللغات و منها العربية دراسة نقدية للنظريات السابقة في ميدان الجريمة و الانحراف.

Abstract

We seek behind this work to present the most important of what came in the theory of social control, also called the theory of social bonds, by the American scientist Travis Hershey. This theory is the fruit of continuous efforts of this scientist, as it is one of the most important theoretical arguments in the field of criminology and modern criminal social science, and this is due to its originality and depth in subtraction and analysis. The author of this theory proceeded from a problem that is completely opposite to what is usual, as it asks "why people do not commit crime." And through an empirical examination on a sample whose units were estimated at 1,313 units, he concluded that the barrier is due to the depth of social ties that bind the individual to the rest of society. Such as his relationship with the family, the group of comrades, the school and other institutions of upbringing, which make him comply with the law and agreed social norms.

Keywords: the crime, deviation, social control, social links, socialization

مقدمة :

نظرية الروابط الاجتماعية (Les liens sociaux) للعالم هيرشي تحمل العديد من الأسماء ومنها: نظرية الضبط الاجتماعي، ونارة أخرى تسمى عند البعض بنظرية الرقابة الاجتماعية، بالإضافة الى تسميتها بنظرية التحكم الاجتماعي. هناك اهتمام واضح في الوقت الحالي بنظريات الضبط الاجتماعي (social control) وظهر ذلك الاتجاه كرد فعل لموقف علماء الإجرام الذين لم يتوصلوا بعد لرؤية علمية متكاملة لتفسير الجريمة والانحراف. وتؤكد تلك النظريات على ابعاد نظرية أساسية في تفسير الجريمة والانحراف بوجه خاص على أنساق القيم المنحرفة ويتضح ذلك من كتابات هوتون ولزلي، حيث أشارت عدد من الدراسات الحديثة إلى أن جناح الجانحين بمثابة انفصال واع عن معاييرهم الأخلاقية" (السيد علي شتا، 1998). ويؤكد ترافيس هيرشي بعد دراسته لأسباب الجناح على فرضية أساسية تقوم عليها نظريات الضبط وهي أن الأفعال الجانحة تنتج عندما تكون رابطة الفرد بالمجتمع ضعيفة أو متصدعة. ويضيف "شورت مستر" في دراسة أخرى للجماعة أو العصابة الجانحة أنه

يمكن تفسير الجريمة من خلال منظور الضبط الاجتماعي، فالمنحرفين أو الجانحين يختلفون عن غيرهم من غير الجانحين في أنه تنقصهم الفاعلية وروابط المكافأة بالنظم الاجتماعية الأساسية أي أن ضعف رابطة الفرد ونقص استقراره في المجتمع يولد الجريمة والانحراف. والخلاصة أن نظريات الضبط تنظر للانحراف على أنه نتيجة التحرر النسبي

من الارتباطات والمعتقدات الأخلاقية التي تربط معظم الناس وتجعلهم يعيشون حياة واحدة في ظل القانون. (سامية حسن الساعاتي، 1982).

نظرية التحكم الاجتماعي التي طورها ترافيس هيرشي، هي نوع من النظرية الوظيفية التي تشير إلى أن الانحراف يحدث عندما يضعف ارتباط الشخص أو الجماعة بالروابط الاجتماعية، ووفقا لهذا الرأي، يهتم الناس بما يفكر به الآخرون ويتوافقون مع التوقعات الاجتماعية بسبب ارتباطهم بالآخرين وما يتوقعه الآخرون منهم، والتنشئة الاجتماعية مهمة في إنتاج التوافق مع القواعد الاجتماعية، وعندما ينكسر هذا التوافق يحدث الانحراف (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وتركز نظرية التحكم الاجتماعي -السيطرة الاجتماعية -على كيفية ارتباط الانحرافات أو عدم ارتباطها بنظم القيم المشتركة، وما هي المواقف التي تخرق التزام الناس بهذه القيم، وتشير هذه النظرية أيضا إلى أن معظم الناس ربما يشعرونه ببعض الاندفاع تجاه السلوك المنحرف في وقت ما، لكن ارتباطهم بالقواعد الاجتماعية يمنعهم من المشاركة فعليا في السلوك المنحرف. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

في عرضنا هذا سوف نعتمد في هذا الفصل على الدراسة الميدانية التي أجراها العالم "هيرشي" Hirshi تحت عنوان "أسباب الجنوح سنة 1964 والتي حاول من خلالها تجريب أو التأكد من ستة (06) فرضيات خاصة بـ: الارتباط بالوالدين، الارتباط بالمدرسة، الارتباط بالأصدقاء، الالتزام بالخطوط التقليدية للجنوح، الاشتراك في الأنشطة التقليدية، المعتقدات، هذه الفروض الستة تحدد حسب العالم هيرشي الاقبال من عدمه على السلوك المنحرف والاجرامي.

هذا وقد أجريت هذه الدراسة الميدانية على عينة قد بلغت 17500 تلميذ وتلميذة جاوا من إحدى عشر (11) مؤسسة تعليمية (ابتدائية وثانوية). كما كانت هذه العينة تمثيلية من حيث الانتماء العرقي، الجنس والطبقة الاجتماعية.

في هذا الفصل سيتم عرض ما جاء في هذه الدراسة من انتقادات التي وجهها ترافيس هيرشي للدراسات والنظريات السابقة، التي حاول أصحابها تفسير الانحراف والجريمة وكذلك النتائج التي توصل إليها هذا العالم.

وقد قررنا الاعتماد على دراسة هيرشي لتوفرها، وخاصة أنها مترجمة ومنقولة إلى اللغة العربية بصفة جيدة ومقبولة من حيث التراث واللغة السوسيو لوجية.

كما استغلينا بعض الأعمال والدراسات النظرية التي تعرضت لهذه النظرية

يقول المترجم لكتاب "أسباب جنوح الأحداث": "ولأهمية دراسة ميدان الأحداث الجانحين قام المترجم بتعريب هذا الكتاب لأنه يحتوي على دراسة علمية جادة لأسباب جنوح الأحداث وقد اعتمد المؤلف في دراسته على المنهج العلمي بأساليبه وأدواته المختلفة التي حرص المؤلف على الالتزام بها. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ثم يضيف قائلا: "هذه الدراسة العلمية تعتبر نموذجا مثاليا للدراسات العلمية في هذا المجال، يستفيد منها كل باحث وكل دارس وكل عامل في هذا الميدان الهام، وقد استطاع المؤلف أن يبرز في هذه الدراسة العوامل والأسباب المؤثرة في جنوح الأحداث بصورة جلية وواضحة." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وحول محتوى هذه الدراسة وتوزيع المادة العلمية لها فقد جاء على لسان الدكتور محمد سلامة محمد غباري: "وقد احتوى هذا الكتاب على اثني عشر فصلا، كل فصل يتناول فيه جانبا من جوانب هذه الدراسة القيمة، فالفصل الأول يتكلم فيه عن أبعاد المشكلة في ضوء النظريات العلمية المفسرة للجنوح، ومنها نظرية الضبط الاجتماعي ونظرية الانحراف الثقافي، ونظرية الضغط، ثم تناول في الفصل الثاني النظرية الضابطة بالشرح والتوضيح مبرزا صلتها بأسباب الجنوح. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ثم انتقل بعدها في الفصل الثالث من هذا الكتاب إلى توضيح العينة والبيانات حتى يعرف القارئ، ما هي عينة الدراسة وكيفية اختيارها، وكيف تم جمع البيانات الخاصة بتلك الدراس، ثم انتقل المؤلف إلى الفصل الرابع الذي حاول فيه تحديد ماهية الجنوح وأهم تعريفاته، حتى يعرف القارئ بصورة واضحة ما المقصود بالجنوح الذي اهتمت به هذه الدراسة، وهذا بالإضافة إلى ما احتوى عليه الفصل الرابع من معارف ومعلومات قيمة عن التوزيع الاجتماعي للجنوح. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وقد أبرز المؤلف أسباب الجنوح التي توصل إليها من هذه الدراسة في الفصل السادس حتى الفصل الحادي عشر، وهي: الارتباط بالوالدين في الفصل السادس، الارتباط بالمدرسة، في الفصل السابع، الارتباط بالرفاق، في الفصل الثامن، والالتزام بالخطوط التقليدية للسلوك في الفصل التاسع، والاشتراك في الأنشطة في الفصل العاشر، ثم تكلم عن المعتقدات وأثرها على الجنوح في الفصل الحادي عشر، ثم ذكر المؤلف في نهاية الكتاب بعض المتغيرات التقليدية للجنوح، وأساليب الدراسة وأدواتها، في الملاحق الموضحة بنهاية هذا الكتاب.1

المنهجية المعتمدة في دراسة "ترافيس هيرشي":

1-المجال الجغرافي للدراسة أجريت الدراسة في "مقاطعة كونترا كوستا، كجزء من المنطقة السكنية لكل من سان فرانسيسكو وأوكلاند، يحدها من الجنوب مقاطعة بيركلي ومن الغرب والشمال خليج سان فرانسيسكو دوسان بابلو، ويسكن التلال الشرقية الحرفيون والموظفون الذي يدخلون في تعداد كل من بيركلي و أوكلاند وسان فرانسيسكو والمدينة الرئيسية في الجزء الغربي من المقاطعة وهي مدينة ريشماند Richmond، أما الأراضي المنبسطة التي تقع بين التلال والخليج فيسكنها العمال اليدويون، ومنذ الحرب العالمية الثانية يسكنها الزوج حتى ازدادت نسبتهم من أقل 1% إلى أكثر من 12%.(ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

2-المجال البشري (العينة):

وقد أخذن العينة التي تعتمد عليها الدراسة التي أجريت كجزء من مشروع الشباب برشماند من بين 17500 طالب يلتحقون بإحدى عشر (11) طالب يلتحقون بإحدى عشر (11) مدرسة ابتدائية وثانوية في هذه المنطقة في خريف 1964، وقد تم تقسيم هذا العدد وتصنيفه طبقا ووفقا للجنس والعنصر والمدرسة والصف الدراسي إلى مجموعات فرعية بلغ عدد 130 مجموعة... وكانت النسبة التي تم على أساسها الاختبار العشوائي للعينة هو كالاتي 85% من الصبيان الزوج و60% من البنات الزوج و30% من الصبيان غير الزوج (أسيويين مع بعض الأمريكيين من أصل شرقي أو مكسيكي)، و12% من البنات غير الزوجيات. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وفي المدارس التي لم يكن تتوفر فيها النسب المطلوبة للعينة وهي 25% من الصبيان الزوج أو 25% من البنات الزوجيات، فقد كانت تؤخذ جميع البنات والصبيان بالمدرسة ضمن العينة، وقد نتج عن هذا الإجراء الحصول على عينة مصنفة طبقيا، مكونة من 5545.

فروض نظرية الضبط (الروابط) الاجتماعي عند العالم "ترافيس هيرشي" الفرضية الأولى: "الارتباط بالوالدين"

تفترض نظرية الضبط الاجتماعي أن رابطة الحب للأشخاص التقليديين هي من أهم معوقات الجريمة، وكلما كانت هذه الرابطة من القوة كلما وضعها الفرد في اعتباره إذا فكر في ارتكاب الفعل الإجرامي، والشخص ذا الارتباطات الإيجابية بالآخرين يبذل جهدا كبيرا لتجنب اكتشافه وعدم رغبته في المغامرة التي قد يقبلها الشخص غير المرتبط، ويبرهن على قوة ارتباطه حتى وهو يقدم على ارتكاب الجريمة، وعندما يصبح اكتشاف الجريمة مؤكدا، فإن الشخص المرتبط قد يتبع أساليب غير عادية لمنع من يقدر رأيهم من أن يأخذوا خبرا بما فعله. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

نلاحظ من خلال هذه الفرضية الخاصة بالارتباط بالوالدين ومدى علاقته بانحراف الأبناء، أنه كلما كان ارتباط الأبناء بالوالدين قويا كلما قلت فرص انحراف الأبناء، وعليه تزداد فرص الانحراف والجريمة عند الأطفال الذين يعرفون ما يسمى بالتصدع الأسري، أي أحد الوالدين أو كلاهما غير موجودا بسبب الطلاق، الموت أو الهجرة خارج البلد. فالأطفال الذين يتمتعون بروابط - أي علاقات - قوية مع كل من الأب والأم هم أقل عرضة للانحراف/ ولهذا نجد العالم "هيرشي" في هذه الفرضية ركز على ما سماه ب "الارتباط بالوالدين" Attachment Parentel .

ويوضح هذه الفرضية قائلا: " والصورة التي تصورها نظرية الجنوح هي أن الطفل الذي يفتقد الأسرة أو على الأقل يفتقد الأسرة التي تهتم بسعادته أو بؤسه، يكون معرضا للجنوح، وحيث أن معظم الأفعال الجانحة ترتكب خارج نطاق المنزل، وحيث أن القليل جدا من الأفعال الجانحة ترتكب بتحريض من الآباء، وحيث أن معظم الجرائم التي تكتشف تتسبب في حرج الآباء أو إزعاجهم، فليس منيرا لاندهاش أن صورة الجانح تتصف بعدم الارتباط بالآباء ماديا عاطفيا (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

نحن نشاطر العالم "ترافيس هيرشي" عندما يتكلم عن الارتباط الأسري والحديث عن اهتمام الأسرة الفعلي بسعادة أو بؤس الأطفال.

إن الارتباط الحقيقي هو الارتباط الوظيفي الذي يهمننا، وليس الوجود الشكلي للأسرة -والوالدين-وغياب دورها كأولياء، الأهم هو الدفء الأسري، الحنان، الاستماع للأبناء، العمل على مساندتهم وليس فقط ضمان لهم ما يسمى بالوظيفة الاقتصادية من أكل ولباس ومسكن، فالأبناء يحتاجون إلى أكثر من هذا، وعلى الأولياء الوقوف معهم ومراعاة مراحلهم العمرية واحتياجات كل مرحلة من هذه المراحل.

وعليه نرى بأن الفرضية الأولى التي تطرقت إلى ارتباط الأبناء بالوالدين يمكن أن تشكل ذلك الدرع المانع الذي يحمي الأطفال من السقوط في عالم الانحراف والجريمة.

الفرضية الثانية: "الارتباط بالمدرسة"

ولتفسير كيف يمكن أن يحمي الارتباط بالمدرسة الأطفال من السقوط في عالم الانحراف والجريمة، نجد "هيرشي" يقول: "تتوسط المدرسة عالم الأسرة التقليدي والعالم التقليدي للعمل والزواج، وبالقدر الذي تقوم به هذه المدرسة من تعليم الطفل الارتباط والاندماج والالتزام بقدر ما تنجح في مساعدة المراهقين من الانتقال من سن الطفولة إلى الرشد بأقل قدر من الأفعال الجانحة." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ولتوضيح فكرة الارتباط بالمدرسة وكيف تؤثر في انحراف الأبناء من عدمه، نجد العالم "ترافيس هيرشي" يوضح ما قمت به دراسته حول أسباب جنوح الأحداث فيقول: "وقد ركزت هذه الدراسة على المدرسة من جانبين.

فمن الجانب الأول: أن الخبرات اليومية التي يمارسها الطفل من الطبقة الدنيا قد تبدو كريبة مهينة ومفسدة للأخلاق، وعلى الرغم من أن المدرسة تمنى لو تصرف بشكل مختلف تجاه هذه الأفعال ولكنها مضطرة لمعاقبة هؤلاء الأطفال الأشقياء القذرين المتأخرين في دراستهم، والأكثر من ذلك أن الأطفال المنتمون إلى طبقة أعلى نتاح لهم فرصة السيطرة على النشاطات المدرسية، ويتجنبون طفل الطبقة الدنيا في لقاءاتهم مما يجعله يواجه مشكلة عدم التكيف ويبدأ في البحث في حل لهذه المشكلة.

ومن الجانب الآخر: فإن الخبرات اليومية بالمدرسة لطفل الطبقة الدنيا قد تؤثر فيه بدرجة سيئة، وتفقد أهميتها وتصبح علاقته بالتعليم سيئة، كما هي بالنسبة للزملاء لدرجة أنها تشغل كل تفكيره وتحتل بؤرة اهتمامه، وهذا يؤدي إلى فشله في مواصلة تعليمه أما بسبب حاجته إلى المال أو بسبب ما يعتنقه من قيم، ويبدو أن هذا هو السبب في تحوله إلى الجنوح. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

"وباختصار فإن الانحدار من أسر ذات وضع منحط اجتماعيا واقتصاديا مع وجود قدرات فكرية محدودة يؤدي إلى اتخاذ مواقف عدائية من المدرسة. وهذا الموقف العدائي تجاه المدرسة يجعله أكثر ميلا نحو الانضمام لجماعات الجانحين ومما يدل على المدى الذي انتقل إليه الذكاء من كونه السبب الأهم للجنوح إلى كونه أحد المتغيرات التي كان يعتقد بأهميتها في وقت من الأوقات هو ما

تميز به رد فعل كل من "جاكسون وماريكا توبي" Jackson and Marica Tobey من دهشة لما سبق أن استنتجوه من أن الوضع العقلي أو الفكري يتصل باكتساب الأصدقاء الجانحين. " (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وتعليقا على هذه الفرضية الخاصة بالارتباط الأطفال بالمدرسة ومدى إقبالهم على السلوك المنحرف والإجرامي، نقول: بأن لمبدأ الخصوصية الثقافية علاقة في مدى نجاح مثل هذه النظريات والفروض في بيئات خارج البيئات التي نشأت فيها. فمثلا هذه الفرضية التي ترى في أن شدة الارتباط بالمدرسة يفوت فرص الإقبال على الانحراف لدى الأطفال الفقراء أو الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا، هي صالحة في أمريكا، بينما رأينا أنه على مستوى بلادنا الجزائر وربما هذا ينطبق على بعض البلدان العربية، أفن الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا، الفقراء هم أكثر ارتباطا بالمدرسة، وحتى معدلات النجاح المدرسي تكون أكثر انتشارا في هذه الطبقة الاجتماعية. لقد عمل العالم "ترافيس هيرشي" كغيره من العلماء، اللذين جعلوا من الفقر والعوز سببا في ضعف الارتباط بالمدرسة ومن ثم الانحراف، وعليه فهذه النظرية تهمل العديد من العوامل الأخرى خاصة منها الشخصية المتعلم، والنفسيته الاجتماعية في تفسير السلوك المنحرف والإجرامي عند الأفراد.

ودائما حول مسألة الارتباط بالمدرسة وانحراف الأطفال نجد "هيرشي" يستدرك بأن عامل الفقر ليس العامل الوحيد في تعزيز أو إضعاف هذا الارتباط، بل هناك عوامل أخرى مثل علاقة الوالدين بالمدرسة، معاملة المدرسين للمتعلمين، التمييز داخل الصف على حساب طبقات معينة، الموقع الجغرافي للمدرسة، و من هم المعلمين الموجودين بها، وغيرها من العوامل الأخرى، و لهذا نجده يقول: " للمدرسة ارتباط وثيق بالانحراف من حيث تأثيرها البالغ في شخصية الحدث من ناحية ومن حيث تأثيرها في البيئة المحيطة به من ناحية أخرى، فالمدرسة تعتبر مؤسسة تربوية اجتماعية ولكنها قد تفشل في تحقيق وظائفها. وقد يرجع ذلك إلى عوامل متعددة قد ترجع إلى الحدث نفسه أو قد ترجع إلى المدرسة أو قد ترجع إلى الاثنين معا. " (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

فسوء معاملة المدرسين وقسوتهم قد يجعل من المدرسة مثيرا شرطيا للألم والعقاب، ويجد الطفل في الهروب من المدرسة الوسيلة المناسبة لخفض التوتر والقلق، وقد يفشل الجهاز المدرسي في تحقيق التساند والتكامل الوظيفي بين أدوار المعلمين في المدرسة، وينعكس أثر ذلك في عدم التعاون بينهم على اكتشاف مشكلات الأطفال في وقت مبكر، تصبح المدرسة في هذه الحالة أقل جاذبية لبعض التلاميذ الذين يجدون في البيئة الخارجية للمدرسة أكثر إمتاعا لتحقيق رغباتهم فيهربون من المدرسة إلى المناطق الجاذبة للانحراف/ مما يسهل تعرضهم للانحراف وخاصة إذا اجتمعوا مع أصدقاء السوء بالمدرسة وخارجها، حيث أن الأصدقاء من العوامل التي تساعد على انحراف الأحداث، فيرتبطون معا ويهربون معا من المدرسة، وعندئذ ينقطعون عن المدرسة أو لا ينتظمون بها، وقد لا تعلم الأسرة بذلك إلا بعد فوات الأوان... " (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

فعلا يضعف أو يزول الارتباط بالمدرسة من طرف الأطفال، وتصبح هذه المؤسسة مصدر نفور وإزعاج وكرهية بالنسبة لهم نظرا لما يتلقونه من عقوبات وطرده وتمييز من طرف المعلمين. وهذه الظاهرة قد وقنا عليها من خلال العديد من الرسائل المنجزة من

طرف الطلبة في طور الماجستير والدكتوراه، فبدلاً ما تكون المدرسة مؤسسة علم وتعليم وتربية تتحول إلى مؤسسة عقابية وحرمان وتمييز وإعادة إنتاج اللامساواة الطبقية بين التلاميذ.

الفرضية الثالثة: الارتباط بالرفقاء و(الأصدقاء)

بعد هذا نجد العالم "ترافيس هيرشي" ينتقل للكلام عن دور الأصدقاء وكيفية تأثيرهم في سلوكيات أصدقائهم، فيقول: "غالباً ما ترتكب الأفعال الجانحة بالاشتراك مع الأصدقاء، فمعظم الجانحين لهم أصدقاء جانحون، وهذه الحقائق هي مصدر جدل مستفيض..." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وقد عمل هيرشي على التأكد من صحة هذه الفرضية، من جهة، وكذلك من النتائج المتوصل إليها من طرف العديد من الدراسات كتلك التي قام بها سوزرلاند Sutherland ودراسة "كوهن" Cohen، و"شورت" Short، و"هافان سلفين" Havin v. Selvin وغيرهم من الباحثين الآخرين وهذا ما جعل هذا الفصل الخاص بالفرضية الثالثة جد مكثف. وعليه سوف نقتصر على ذكر بعض النتائج الخاصة بهذه الفرضية.

يقول العالم هيرشي "والآن دعنا نتناول البيانات مرة أخرى في هذا الفصل، ونرى ما يمكن أن يقال عن التداخل بين الصفات الشخصية ونماذج الارتباط كأسباب للجنوح، فعلى عكس ما تنادي به نظريات الثقافة الفرعية فإن العصابة نادراً ما تنجح في تجنيد الأطفال الأسوياء، وعندما تنجح في ذلك فهي نادراً ما تدفعهم إلى ارتكاب الأفعال الجانحة، فهناك ميل قوي لدى الأطفال في أن يتخذوا أصدقاء لهم يكونون متفقين معهم في مواقفهم." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

إننا نشاط العالم "ترافيس هيرشي" عندما يقول بأن نجاح العصابات في تجنيد الأطفال الأسوياء، أي الذي لهم اتجاهات إيجابية نحو القانون والمعايير، ليس بالأمر السهل، بل غالباً ما تفشل هذه العصابات في مهمتها إذا كان الأطفال يتميزون بالامتنال والطاعة للقانون، على عكس الأطفال المنحرفين فهم لقمة سهلة بالنسبة للعصابات.

كما يضيف هيرشي "الأطفال ذوي درجات الامتنال العالي لا يميلون أن يتخذوا أصدقاء منحرفين أو جانحين، وحتى حين يفعل ذلك أحد الأطفال ذوي الامتنال العالي فإن احتمال ارتكابه للأفعال الجانحة يكون ضعيفاً نسبياً، وفي رأي أن الدلائل تشير إلى أن الشخص عندما يختار أصدقاءه فإن درجة الامتنال للقانون هي التي تؤثر في اختياره لأصدقائه وليس العكس هو الصحيح." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ومن النتائج الهامة التي توصل إليها "هيرشي" من خلال تحليله للبيانات الميدانية التي جمعها في دراسته هذه هي:

1- أن الطفل ذو درجة الامتنال الضعيفة يخضع للتأثيرات الجانحة في بيئة، بينما الطفل ذو درجة الامتنال العالية يكون محصناً نسبياً ضد هذه التأثيرات،

2- كلما زاد تعرض الطفل للتأثيرات الاجرامية كلما زاد الاختلاف في النشاط الجانح بين الأطفال ذوي الامتثال العالي وبين ذوي الامتثال المنخفض للقانون، على الرغم من هذه التأثيرات الإجرامية ليست في متناول نظرية الضبط الاجتماعي، فإن نظريات العمليات الجماعية مضطرة الى بناء افتراضاتها على المادة التي توفرها لهم ضعف الضوابط الاجتماعية. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ). ونظرا لأهمية مؤسسة الأصدقاء وكونها من اخطر مؤسسات التنشئة والأكثر تأثيرا في مواقف وتصرفات الأطفال نجده يقول: ما من أحد ينكر تأثير الرفقاء أو الأصدقاء الذين يرتبط بهم الحدث، وخاصة من يرتبط بهم وجانيا، فان تأثيرهم يكون قوي و خطير، و خاصة إذا كانوا من المنحرفين، وعندئذ يصبحون عاملا مساعدا على خلق السلوك المنحرف، والأصدقاء هم الجماعة الأولى التي تناسب سن الطفل وتناسب منزلته الاجتماعية، وهي التي يجد فيها فرصته الأولى لتكوين علاقات اجتماعية جديدة، ذات طبيعة مستقلة، تختلف عما عهده من علاقات أخرى في نطاق أسرته، وهي الجماعة التي يتعلم فيها معنى السلطة التي تختلف عن سلطة الوالدين التي عهدها في أسرته، إنها سلطة جديدة يساهم الطفل في خلقها، ويصبح جزء منها ويعمل على تنظيمها وحمايتها، إنها الجماعة التي يختبر الطفل فيها مدى قدرته على تحطيم الحدود التي رسمها له الوالدين في محيط أسرته، إنها الجماعة التي تتيح للطفل فرصة تحدي الوالدين من خلال قوة الجماعة الجديدة التي صار جزءا منها، والتي تساعده في إظهار هذا التحدي، إنها جماعة الأقران أو جماعة اللعب. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ثم نجد هيرشي يستشهد بالدراسة التي قاما بها العالمان "جيلوك" Sheldon Glueck وEleanor Glueck، حيث يقول: "وقد لاحظ "جيلوك" أن الحدث لا يرتبط برفيق منحرف إلا إذا كان بينهما اتفاق سابق في الميول الانحرافية، وتجانس في العادات والصفات التي تقود إلى السلوك المنحرف، بالإضافة إلى وجود الاستعداد الطبيعي والميل النظري للسلوك الجانح، وقد وجد "جيلوك" أن من بين الخمسمائة طفل جانح الذين قام بدراساتهم أن 492 منهم يمثلون 98,4% لم ينحرفوا بمفردهم، وإنما انحرفوا مع آخرين." (David, Farrington , 1950)

وقد تتطور جماعة اللعب وتصبح عصابة جانحة هدفها المقاتلة والدفاع عن النفس، وقد تكون على شيء من التنظيم، وتحدد لها اسما وقائدا وشعارا معيناً، لكنها لا تشكل تنظيمًا كاملاً، ومع هذا فهي تشكل مجتمعا صغيرا مقلدا لا يقبل الغريب بسهولة. وعليه نرى بأن فرضية الارتباط بالأصدقاء وعلاقتها بانحراف الأطفال، تعد من الفرضيات الهامة والتي أكدها العديد من العلماء والباحثين بفضل الدراسات الميدانية التي أجروها، وهذا كما رأيناه مع الزوجين "جيلوك" Glueck والعالم فردريك تراشر Thrasher وكوهن Cohen وغيرهم من العلماء الآخرين.

الفرضية الرابعة: الالتزام بالخطوط التقليدية للسلوك.

يقول العالم هيرشي في دراسة "أسباب الجنوح الأحداث": "... سوف نناقش في هذا الفصل حدود الامتثال التي تقوم وراء السعي أو الرغبة في تحقيق الأهداف المشروعة ومنها الموقف المتخذ تجاه الطموحات الذي يتناقض مع الموقف الذي تتبناه نظريات الضغط حيث تعتبر الطموحات التقليدية مصدر الدوافع للسلوك، ولكننا هنا نعتبر هذه الطموحات ضوابط للجنوح حيث أنه من

المفترض أن الجنوح ليس وسيلة لتحقيق الطموحات التقليدية بل أنه يعتبر أيضا وسيلة لعدم تحقيق هذه الطموحات. (David, Farrington, 1950).

ويمكن أن يسلك المراهق ثلاثة سبل جميعها تتداخل في علاقتها مع بعضها. وجميعها تختلف في نقاط بدايتها، وجميعها تحيطها تقديرات تقليدية عن مدى ملائمتها للتوقيت، واحتمالات النجاح والفشل، وهذه السبل هي الخط التعليمي والخط المهني، وبعبارة أخرى سنطلق عليها المرور إلى مرحلة الرشد. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

- بلوغ مرحلة الرشد:

إن الوضع المثالي للدراسة هو عندما يكمل المراهق تعليمه، ويبدأ حياته العملية، ويكتسب وضعاً أو مكانة بين الكبار، فإنه يرتبط باستمرار بالامثال للقانون، وباشتراكه في النشاط التقليدي للمجتمع، ومع هذا فإذا أخذنا في الاعتبار اعتبارات السن التي تتطلبها الحياة العملية، فإن كثيراً من المراهقين يتمون تعليمهم دون أن يصلوا إلى الوضع الذي يستطيعون فيه بدء حياتهم العملية، ولكونهم قد انفصلوا عن الحياة الدراسية فهم يصبحون قد اعتبروا ضمن الكبار، ولكن لكونهم لم يبدأوا حياتهم المهنية فهم بهذا المعنى لا زالوا صغاراً. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

إن المجتمع ينتظر من أفراده بعد إتمامه الدراسة والتخرج الالتحاق بعالم الشغل، وهذا حتى يستقلوا اقتصادياً ويساهمون من جهة أخرى في ميزانية أسرهم، إلا أن الأمر ليس كما يتصوره البعض، حيث الأغلبية تنتظرها البطالة وهذا نظراً لما تعرفه المجتمعات الحديثة من أزمات ونقص في فرص التشغيل. وبالتالي فالأطفال الذين أكملوا دراستهم، عدم حصولهم على وظائف يجعلهم معلقين بين مرحلتين: المراهقة والرشد، فهم ليسوا بمراهقين وليسوا براشدين كونهم لم يتحصلوا على شغل.

والمراهق الذي يجد نفسه في مثل هذا الموقف بطرق تتمشى فقط مع تصرفات الكبار، ولكن طبيعة تكوينه في ذات الوقت تضمن له الانطلاق الذي يلائمه كطفل، ونتيجة هذا هو ارتفاع معدل الجنوح. أن الخروج من مجال الدراسة قبل الميعاد يعني كثيراً من الأشياء، منها الوضع المهني الذي ينتظر الشخص بعد ذلك. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ويرى المراهق في هذا الموقف فترة من الراحة والمتعة، فقد أصبح مسموحاً له أن يستمتع ببعض الامتيازات الممنوحة للكبار، دون أن يحمل على عاتقه مسؤوليات العمل أو الأسرة، وهذه الفترة كما يراها سيظل دائماً يعتبرها هي أسعد فترات حياته. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وتعليقاً على نتائج الجدول رقم 53* من الدراسة الميدانية والذي يحمل عنوان "أفعال الجنوح المبلغ عنها ذاتياً مقارنة بأسعد فترات الحياة"، نجد العالم "هيرشي" يقول: "على الرغم من أن هذه البيانات تشير إلى صعوبات في تفسير الجناح الذي يعتمد على السخط الحاد، أو الإحباط الشديد، إلا أنها لا تعني بالضرورة أن هؤلاء الذين يعتبرون حياة الدراسة الجامعية فترة سعادة نسبية، أنهم أسعد من هؤلاء الذين يعتبرون فترة أخرى من حياتهم تبشر بنتائج أعظم، وهي أيضاً لا تعني أن من يرتكبون الأفعال الجانحة هم أسعد من الذين لا يرتكبونها، وعلى العكس فإن هؤلاء الذين يشعرون أن أسعد أوقات حياتهم هي التي أمضوها في فترة الدراسة

الجامعية، وربما كانوا أقل سعادة من الذين يتطلعون إلى أيام أسعد، وتشير هذه البيانات مع هذا إلى أن التمتع بالامتيازات التي يتمتع بها الكبار دون تحمل للمسؤوليات التي تلقى على عاتقهم يعطي نوعا من التعويض لهؤلاء الذين يعتبرون احتمالات المستقبل سيئة بالنسبة لهم، ومن الأنشطة التي يمارسها الكبار، والتي تمثل نوعا من التعويض بالنسبة لهؤلاء، على سبيل المثال: التدخين، وتعاطي الخمر، واللقاءات الغرامية، وقيادة السيارات، والتلاميذ الذين لا يتوقعون الاستمرار في الدراسة ينغمسون في ممارسة هذه الأنشطة." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وهذه الأنشطة التي يمارسها الكبار، تشير جزئيا عندما يمارسها المراهقون إلى ضعف الالتزام بالنظام الدراسي، فهي تعكس بلوغ سن الكبار قبل الأوان، وأن ادعاء المراهق ببلوغه مرحلة الرشد يجعله ينغمس في ممارسة هذه الأنشطة، لتقوية ادعاءاته بأنه قد بلغ هذه السن وهي الادعاءات التي لا تنتهي بالانتهاء من حياته ال دراسية 2

هي نفس الملاحظة لاحظناها هنا عندنا في الجزائر فالمرهق عندما يطرد من المدرسة يصبح يشعر بأنه قد أصبح رجلا مكتملا ومن حقه ممارسة نفس الأفعال التي يمارسها الكبار، فالتدخين مثلا يرمز إلى الرجولة ولهذا أغلبية المراهقين المفصولين من الدراسة يقبلون على هذه الممارسة بقوة.

كما أن هذه السلوكيات لا تخص فقط الذكور وهذا عيب دراسة العالم "هيرشي" الذي اهتم فقط بجنس الذكور دون الإناث وكان الفتيات غير معنيات بالانحراف والجنوح، فقد لاحظنا مثلا أن كثيرا من المراهقات مباشرة بعد طردهن أو انقطاعهن عن الدراسة، يصبحن يقلدن النساء ويشعرن بل يعتبرن بأن هن نساء وليس مراهقات، حيث يتجهن نحو مواد التجميل والزينة وطلق الشعر وتسريحه ولباس الثياب الفاتنة وغيرها من السلوكيات الأخرى، كما يقبلن على الانحراف وحتى تعاطي المخدرات، وبعضهن يبيع أجسادهن والسقوط في عالم الرذيلة.

ومن الملاحظات التي سجلناها مثلا على مستوى مجتمعنا -الجزائر- من خلال المعيشة اليومية والدراسات التي أشرفنا عليها، أن كثير من المراهقين عندنا لما ينقطعون عن الدراسة، نجد الوالدين بدلا من التعامل معهم بنوع من الحزم وليس الشدة والإرهاب، يقومون بشراء لهم الدرجات النارية، وحتى السيارات، وكأنهم يجزؤونهم على فشلهم وطردهم من المدرسة.

كما أن الأولياء يصبحون غائبين تماما، حيث يصبح المراهق المطرود من المدرسة، رجلا يمكنه فعل ما يشاء، السهر خارج البيت حتى أوقات متأخرة من الليل، مخالطة أصدقاء منحرفين وغيرها من السلوكيات المنحرفة، وذلك امام سكوت الوالدين. وعليه نرى بان انحراف العديد من المراهقين بعد طردهم من المدرسة يفسر أساسا بغياب الاسرة وعدم تحملها لمسؤولياتها كاملة. وعليه يصح ان نقول بان الاسرة في مجتمعاتنا العربية عامة والجزائرية خاصة هي اسرة غير وظيفية، كونها لا تؤدي كامل الأدوار التربوية المنوطة بها.

– الالتزام بالتعليم

وبناء على ما كتبه "ميرتون" Merton عن "الميكال الاجتماعي والشذوذ" فإن التطلعات لعبت دورا كبيرا في تفسير السلوك الجانح والافتراضات النابعة عن دراسات "ميرتون" تناقض الافتراضات النابعة من نظريات الضبط الاجتماعي، فعلى سبيل المثال يشير "إرفنج سبرجل" Irving Spergel بقوله "فقد يقع الأشخاص الجانحين تحت ضغط مباشر وشديد من جانب آباء طموحين، يتطلعون إلى الحركة إلى أعلى، أو من جانب آباء غير راضين عن وضعهم الاجتماعي في الحياة، بينما الأشخاص غير الجانحين قد يكونوا أقل تعرضا لمثل هذه الضغوط." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

فيما يخص ما جاء على لسان الباحث "إرفنج سبرجل" I. Spergel نقول بأننا نشاطره إلى حد كبير فيما أشار إليه، وهو ان الأولياء عامة والآباء خاصة وهذا ما لاحظناه عندنا في الجزائر وربما ينطبق على باقي الدول العربية، يسعون الى تحقيق ما فشلوا في تحقيقه عن طريق أبنائهم، ولهذا نجدهم هم الذي يختارون ما يدرسون وما يخترونه من تخصصات علمية و مهن في المستقبل، بالإضافة إلى كونهم يرون في أبنائهم مشاريع مستقبلية، يسعون من خلالها تحقيق رغباتهم وطموحاتهم من وراء أبنائهم، وهذا الحرس الشديد والضغط على الأبناء غالبا ما تترتب عنه العديد من المشاكل النفسية بالنسبة للأبناء حيث ويولد لديهم كراهية التعليم والتحصيل، بل النفور والسقوط في أحضان الانحراف و الجريمة بعد الطرد من المدرسة.

ويشير "هيرشي" نقلا عن "ميرتون" Merton: "ومن جهة نظر "ميرتون" فإن حل مشكلة الجنوح هو محاولة التقريب بين طموحات المراهق والتوقعات الواقعية، أو بعبارة أخرى ملائمة رغبته في أن يكون ما يستطيع أن يكونه، مع الأخذ في الاعتبار كفاءتها لدراسية المحدودة، والعواقب الاجتماعية التي ستقف في طريقه، في رأي نظرية الضبط الاجتماعي فإن هذه العملية المهدئة تزيل العنصر الرئيسي للضبط الاجتماعي عن تاركة المراهق على أتم استعداد لارتكاب الأفعال الجانحة." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وبناء على نتائج الدراسة الميدانية التي أجراها العالم "هيرشي" نجده يقول: "وكما يوضح الجدول "59" فكلما زادت الطموحات التعليمية للتلميذ سواء أكان أبيضاً أو زنجياً كلما قلت احتمالات ارتكابه للأفعال الجانحة، (وفقا للبيانات المبلغ عنها ذاتيا والبيانات المستمدة من السجلات الرسمية)، ومستويات الطموح في العينة مرتفعة ويمكن مقارنتها بنتائج الأبحاث السابقة، فقد اتضح أن نسبة 45% من الأولاد الزوج و66% من البيض الممثلين في العينة يريدون إتمام تعليمهم حتى التخرج من الجامعة." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ويوضح الجدول رقم 65 العلاقة بين الميل للتحصيل الدراسي وبين الجنوح المبلغ عنه ذاتيا، ويتضح من هذا الجدول أن الأشخاص الطموحين المجتهدين نادرا ما يرتكبون الأفعال الجانحة أقل من الأشخاص غير الطموحين." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

هناك علاقة وطيدة بين كل من الالتزام بالتعليم والطموح الكبير في التحصيل والوصول إلى أعلى المراتب التعليمية مقارنة بالفئات التي لها طموحات أقل أو تكون طموحاتها التعليمية منعدمة. وعليه كلما كان الطموح التعليمي عالي كلما قل أو انعدم الجنوح، والعكس صحيح. بعد هذا يستشهد هيرشي بنتائج دراسة كل من "كلوارد" و"أوهلين" فيقول: يفترض كل من "كلوارد

وأوهلين "Cloward and Ohlin أن الشخص الذي يرغب في تحقيق النجاح المادي ولكن ليس على نمط حياة الطبقة المتوسطة أكثر احتمالا لارتكاب الأفعال الجانحة عن الشخص الذي لا يرغب في ذلك. فإذا كان التعليم هو وسيلة الوصول الى مستوى حياة الطبقة المتوسطة وإذا كانت السيارات والسيدات هي التي ترمز للنجاح المادي وفقا لثقافة الطبقة الدنيا، فإن البيانات تشير إلى ان الأشخاص الجانحون أولا يرفضون الأولى ويرغبون في الثانية." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

– الالتزام بالوظيفة ذات المكانة المرتفعة:

بالنسبة لهذه الفرضية الخاصة بالفرضية القائلة "الالتزام بالخطوط التقليدية للسلوك"، نجد هيرشي يقول: "يعد التعليم الجامعي في المجتمع الأمريكي المعاصر شرطا أساسيا للحصول على وظيفة ذات مرتبة اجتماعية عالية، ومع ذلك فإن تجارب أفراد الطبقة الدنيا تظهر أن التعليم ليس شرطا كافيا بأي حال من الأحوال لمثل هذه الوظائف يعيها الشباب الزنوج الذي يرون أن الحصول على تعليم جيد هو أصعب من الحصول على وظيفة جيدة، وفي مجال الاهتمامات فإن الفروق بين الطموحات التعليمية وطموحات العمل ليست كبيرة، وكلاهما يمكن أن يسبب السلوك الجانح، حيث أنه كلما ارتفعت الطموحات سواء كانت في التعليم أو الوظيفة كلما زادت تكاليف هذا النشاط." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ويوضح الجدول رقم 68* وفقا لنظرية الضغط أن الطموحات الوظيفية إذا ارتبطت بالتوقعات الوظيفية المنخفضة تولد ضغطا ينتج عنه الجنوح. بعدها نجد العالم يستشهد بما قاله كل من "كلوارد" و "أوهلين" فيقول: "فعلى سبيل المثال أن كل من "كلوارد" و "أوهلين" يؤكدان باستمرار على ان التفسير الذي يضعه الشخص كمبرر لفشله في تحقيق أهدافه، هذا التفسير حاسم في تحديد ما سوف يتبعه من نتائج، فإذا كان الشخص يلوم نفسه فإن المجتمع ونظامه باقي كما هو، وهذا الشخص ليس محتملا تحوله لجنوح، أما إذا تخيل الشخص - سواء كان هذا التخيل صحيحا أم لا - أن الخطأ يقع على قوى اجتماعية خارجة عن سيطرته حينئذ يشعر بالاغتراب عن المجتمع ويفرض مبادئه ويتحول إلى الجنوح، وهناك عدة بنود في الاستبيان تتناول مدى إدراك التلميذ للعوائق التي تحول بينه وبين الحصول على الوظيفة التي يرغبها." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

نستنتج من كلام "كلوارد" و "أوهلين" أن الحكم الذي يصدره التلميذ أو الفرد اتجاه مصدر إحباطه أو سبب فشله في تحقيق طموحاته هو الذي يحدد إقباله أو امتناعه عن الانحراف والجنوح، فالتلميذ الذي يرى بأن الفشل يكمن فيه، وأنه هو السبب في عدم تحقيق طموحاته، فإنه سوف يوجه اللوم والنقد وربما الأذى إلى نفسه وذاته، بينما إذا رأى التلميذ أو الفرد أن سبب اخفاقه وعدم تحقيق طموحاته يعود إلى أطراف خارجية، أو المجتمع ككل، ففي هذه الحالة نجده يتجه نحو الانحراف والجنوح، أي الانتقام من الطرف الخارجي.

وقد تناولت هذه المسألة نظرية الإحباط بشيء من التفصيل والدقة عندما تطرقت إلى مصدر الإحباط، (انظر على سبيل المثال اعمال العالم جون دولار John Dollard الخاصة بالإحباط والعدوان).

"إن التلميذ الزنجي المقتنع بكفاءته الدراسية، والمقتنع أيضا بأن التفرقة العنصرية سوف تمنعه من تحقيق أهدافه، يصبح وفقا لهذا الافتراض المرشح الأول للجنوح ولا يرجع فشله المتوقع عن تقصير شخصي ولكن عن الظلم الاجتماعي، وعلى النقيض من هذا فإن التلميذ الزنجي إذا اقتنع بتخلفه الدراسي، وفي نفس الوقت لم يكن مدركا للتفرقة العنصرية ففي هذه الحالة لا يوجه اللوم إلى أي شخص إلا لنفسه، وهو حينئذ ليس له أي عذر لخرق قوانين المجتمع." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

الفرضية الخامسة: "الاشتراك في الأنشطة التقليدية"

يعتبر الاشتراك في الأنشطة التقليدية أحد العناصر الرئيسية للارتباط بالمجتمع، وله اتصال واضح بالسلوك المنحرف، فالطفل الذي يمارس لعبة "تنس الطاولة" أو السباحة، أو الذي يقوم بأداء واجباته الدراسية، كل هؤلاء لا يرتكبون أفعالا جانحة، وهذه الصورة للأنشطة الجماعية التي لا تتماشى مع النشاط الجانح هي من أهم أساليب الوقاية من الجنوح، ويتضح هذا الاتجاه بشدة في الكتابات العلمية التي أعطت أهمية كبيرة للأنشطة الترفيهية، ودورها في الحد من السلوك الجانح وكعامل وقائي ضد الأنشطة المنحرفة. فإن شغل وقت الشباب من خلال التعليم الإجابري، أو الخدمة العسكرية بالقوات المسلحة، أو إتاحة فرص المرح والسرور من خلال الأنشطة الترفيهية، أو الالتحاق المبكر بالعمل، كل هذا يمنع السلوك الجانح." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وحول محدودية هذه الفرضية، والابتعاد عن الغلو والطرح المطلق والتمسك بالموضوعية والعقلانية نجد "هيرشي" يقول: "وحقيقة أن معظم الأفعال الجانحة تحدث في أوقات الفراغ، إلا أنه لا يمكن القول إن وقت الفراغ في حد ذاته من الأسباب الأساسية للجنوح، فإن القول بأن الطفل لا يرتكب الأفعال الجانحة لأنه يمارس بانتظام لعبة كرة القدم ليس صحيحا كقولنا إنه لن يمارس لعبة كرة القدم بسبب كونه جانحا." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

فعلا نحن نشاطر "هيرشي" هنا، فممارسة رياضة أو نشاط ما، لا يعني بالضرورة أنه يحمي أو يمنع صاحبه من الانحراف والجنوح. كما أن الذي يمارس أي نشاط رياضي أو ترفيهي، لا يعني أنه أكثر استعدادا وإقبالا على الانحراف والجنوح.

إلا أغلبية الدراسات التي اهتمت بظاهرة الانحراف ووقت الفراغ، قد بينت أن هناك علاقة وطيدة بين كل من الانحراف وعدم استغلال وتنظيم وقت الفراغ، فالأطفال الذي يمارسون نشاطات مثلا رياضية، نجد أن وقت فراغهم كله مملوء، وبالتالي ليس لديهم وقت فراغ، حتى يفكرون في الانحراف أو الالتحاق بالعصابات، كما أن العديد من الدراسات بينت الدور الإيجابي والتنشيطي للترفيه وخاصة إذا استغل بذكاء ومارس الأطفال ما يحبونه هم من أنشطة وليس تلك التي تفرض عليهم ولا يحبونها. فالرياضة مثلا تعمل على تهذيب الأخلاق، وتنمي روح المواطنة والنزعة الإيجابية لدى ممارسها.

إلا أنه كما قلنا إن هذا لا يعني أن استغلال وقت الفراغ من طرف الأطفال يحميهم من السقوط في أحضان الانحراف. إن وقت الفراغ له صلة وثيقة بالانحراف والجنوح، ولذلك اهتمت الدول المتقدمة باستغلال وقت الفراغ لأطفالها وشبابها، وذلك من أهمية وخطورة في نفس الوقت، فقد تبين من الدراسات المختلفة أثر عدم توافر الترويح وسوء استغلال وقت الفراغ على بعض الظواهر الاجتماعية بوجه عام وعلى ظاهرة الجنوح والانحراف بوجه خاص. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ومن ثم يعتبر سوء استغلال وقت الفراغ وعدم توافر وسائل الترويح من العوامل الهامة والمؤثرة في جنوح الأحداث، ويرى بعض الباحثين أن كثيرا من المشكلات السلوكية ترتبط بوقت الفراغ وأن نسبة كبيرة من جناح الأحداث تحدث خلال هذا الوقت. (M.Neumeyer, 1961)

نشير هنا إلى أهمية وقت الفراغ، وخاصة الكيفية التي يتم استغلاله من طرف الأطفال، هذا بالإضافة إلى دور الكبار في الوقوف على كيفية استغلاله، بما يخدم قدرات وميول الأطفال ويسمح له بالتنفيس والتفريغ وتفجير طاقاتهم الإبداعية. وإذا كان هناك من اللامبالاة من طرف الأولياء في توجيه وقت الفراغ عامل من عوامل الانحراف والضياع الاجتماعي. حيث نلاحظ على سبيل المثال، أن كثيرا من الأولياء عندنا يعني بالنسبة لهم وقت الفراغ التخلص من الأبناء وتركهم أو دفعهم إلى الشارع، وهذه الظاهرة ترتب عنها العديد من المشكلات الاجتماعية: انضمام الأبناء إلى العصابات، السرقة، الإهمال للواجبات المدرسية، الاعتداءات على المارة، وغيرها من السلوكيات المنحرفة.

الفرضية السادسة: الاعتقاد

إن الادعاءات المتصارعة، والتعريفات المتغيرة المبهمة، والبيانات التجريبية المحدودة، قد تركت في أثرها نوعا من التشويش المستمر والعميق على الاعتقاد في أسباب الجنوح وعلى الرغم من أن المعتقدات هي المتغيرات الأساسية في معظم التفسيرات السوسولوجيا للسلوك المنحرف.

وتشير نظريات الانحراف الثقافي إلى أن الشخص المنحرف عندما يرتكب أفعالا جانحة فهو حينئذ يكون مخلصا للمبادئ التي تملئها عليه ثقافته، وهذه النظريات تشير باستمرار إلى وجود معتقدات تتطلب قطعاً ارتكاب الأفعال الجانحة. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ثم يضيف "هيرشي" قائلا: وكما سبق أن أشرنا فإن واضعي نظريات الضبط الاجتماعي لم يتخذوا موقفا موحدا من هذه المسألة، فبالنسبة للبعض تعد المعتقدات هي المفتاح للمتغيرات المستقلة، فالجنوح ينشأ عندما لا يتم إدماج المبادئ في الذات أي الاقتناع بها، وبالنسبة للبعض الآخر فإن الاهتمامات الأخلاقية ليست لها أهمية، بسبب أنهم مستقيمون في المجتمع، ولسبب آخر هو أنهم لا يتأثرون بالجنوح، ومع هذا فهناك رأي ثالث يتعلق بهذه المشكلة توضحه نظرية الضبط الاجتماعي، فالمعتقدات العامة غالبا ما يعتنقها الجميع في المجتمع، ولكن هذه المعتقدات لا تتلاشى بنفس الدرجة. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وتتلخص هذه الاعتقادات حسب هيرشي في ثلاث مجموعات:

1-معتقدات الطبقة الوسطى

2-معتقدات الطبقة الدنيا.

3-المعتقدات الإجرامية.

معتقدات وقيم ومعايير الطبقة الدنيا:

يستشهد العالم هيرشي في دراسته هذه بما توصل إليه زميله العالم "والتر ميلر" Walter Miller من نتائج فيما يخص معتقدات الطبقة الدنيا والانحراف والجناح عند الأحداث، فيقول: "ليس هناك من بين هؤلاء الذين ركزوا اهتمامهم على الاعتقادات المؤدية للجناح أو خرق القانون أوضح من "والتر ميلر" Walter Miller، في رفضه لفكرة أن هذه الاعتقادات تجعل الجناح ممكن الحدوث، فهو يقول أن هناك ثقافة للطبقة الدنيا في الولايات المتحدة، وأن تأثيرها المباشر يقع على نسب تصل إلى حوالي 60% من السكان، وهذه الثقافة هي عبارة عن مجموعة من القيم والمعتقدات والمعايير والممارسات التي تقود أعضائها مباشرة أو تلقائيا إلى خرق القانون. والدافع المدعم لهذه الأنشطة غير القانونية كما يقول "ميلر" يستمد من مجموعة الجهود الإيجابية للحصول على ما يعطيه المجتمع التقليدي قيمة واحتراما، والامتثال لمعايير الظاهرة والكامنة." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وتعتمد النتائج التي توصل إليها "ميلر" على اتصاله لمدة ثلاثين عاما بشلل النواصي في أحياء بوسطن الفقير، وتؤيد كثير من البيانات التي سبق تقديمها للملاحظات التي يبيدها "ميلر"، فعلى سبيل المثال: أن هؤلاء الذين يرتكبون الأفعال الجانحة من غير المحتمل أن يكونوا ملتزمين ظاهريا بالمعايير الرسمية أو القانونية، فهم لا يضيفون إلا القليل من الاهتمام على الإنجاز بالمعنى التقليدي لهذه الكلمة، وكنهم يرون أنفسهم رهن القدر ويهمهم أن يعترف بهم الآخرون على أنهم بالغون أو كبار." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ). نستنتج من هذا الكلام أن النتائج التي توصل إليها العالم "ميلر"، تؤكد تلك التي توصل إليها كذلك العالم "هيرشي" حيث أن الشباب الذين درسه لمدة 30 سنة غير ملتزمين بالقوانين والمعايير الاجتماعية، بل يعملون كل ما في وسعهم للاعتداء عليها. كما أنهم يعتقدون بأنهم ليسوا بالقاصرين بل هم كبار ومن حقهم، ممارسة نفس السلوكيات التي يمارسها الكبار، كما أن معايير وقيم الطبقة الدنيا التي ينتمون إليها تتعارض مع قيم ومعايير الطبقة الوسطى. وفيما يخص الالتزام والامتثال للقيم وللاعتقاد، نجد "هيرشي" يصرح:

1- أن أعضاء الطبقة الدنيا أكثر من أي من المنتمين إلى طبقات أخرى، التزاما وامتثالا للاعتقاد والقيم التي تملئها عليهم ثقافتهم.

2- أن عضوية هذه الثقافة والاشتراك فيها أو المساهمة في صنعها يجب أن يكون مستقلا إلى حد كبير عن المميزات أو الصفات الشخصية وإذا لم يستوف هذه الشروط فسيكون من المطلوب البحث عن تفسير غير ثقافي لثقافة الطبقة الدنيا. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

بعد عرضنا لأهم التفاصيل الخاصة بفروض نظرية الروابط عند العالم "هيرشي"، يظهر لنا جليا أن هذا المتغير الجديد الذي نادى به "هيرشي"، والمتمثل في الروابط الاجتماعية والمتمثلة بدورها في الارتباط بالأسر، المدرسة، بالأصدقاء، الأنشطة التقليدية، بالمعتقدات والقيم، والارتباط بالخطوط التقليدية للسلوك، وكيف يساهم عدم الامتثال أو الارتباط في انحراف وجناح الأطفال.

وكما رأينا في بداية عرضنا لهذه النظرية، فإنه كما يقول الباحث "مارك ويمي": Marc Ouimet "المختصين حاولوا الإجابة على السؤال التالي: لماذا نصبح منحرفين؟ هذا السؤال يفترض أن الإنسان طيب، وبصفة طبيعية يمثل إلى الارتباط والالتزام بالقوانين، ومن هذا المنظور فإن الشباب المنحرف هو الذي دفع به أو أخرج عن القواعد من طرف العديد من القوى او العديد من العوامل. نحن هنا في سياق الطرح التقليدي ل "جون روسو" الذي يعتقد بأن الإنسان بطبعه طيب، وأن المجتمع هو الذي يفسده. إلا أن الأكثر تشاؤما يصطفون وراء "توماس هوبس" ويعتقدون بأن الإنسان هو ذئب لأخيه. (Marc)

Ouimet, without date

)

هذه الأفكار والآراء كلها قد شكلت بدورها قاعدة انطلاق بالنسبة للعديد من المنظريات في حقل علم الاجتماع وغيره من العلوم الأخرى.

وبدوره قد حاول العالم "ترافيس هيرشي"، التحقق منها من خلال دراسته الشهيرة عن "أسباب جنوح الأحداث". في سنة 1969 نشر عالم الاجتماع الأمريكي "هيرشي" كتابه هذا تحت عنوان "أسباب الانحراف" (Causes of delinquency) والذي يقدم فيه نظرية الروابط الاجتماعية - كما سبق الإشارة إليه - ومن أجل تطوير نظريته والتي تندرج في إطار ما يسمى بمدخل الضبط الاجتماعي حيث نجده يطرح سؤالاً مختلف تماماً عن تلك الأسئلة التي رأيناها سابقاً وهو: لماذا الناس يحترمون القانون؟

يعتقد "هيرشي" أن الإنسان هو ضد ما هو اجتماعي في بداية الأمر، وأن الامتثال يجب أن ينمي ويطور عند كل من الطفل والمراهق. (Marc Ouimet, without date).

كما ترى نظرية الرباط الاجتماعي عند هيرشي أن الطفل يتحصل أو يصبح يمثل - أي يطيع أو يحترم - للمعايير والقانون بفضل سيرورة التنشئة الاجتماعية التي تلقاها.

وعليه فالشباب يصبح منحرفاً عندما لا يطور او ينمي امتثاله أو عندما هذا الامتثال للقواعد والقانون قد يصاب بعطب - او يصبح فاسداً -.. (Marc Ouimet, without date).

ومن خلال دراسته الشهيرة السابقة الذكر، فقد توصل "هيرشي" إلى "أن الانحراف ناتج عن ضعف أو تحطم الرباط الذي يجمع الفرد بمجتمعه". (Marc Ouimet, without date).

من هذا المنطلق نرى بأن الإقبال على الانحراف والجنوح لدى الأطفال يعود أساساً إلى غياب الامتثال للقواعد والقوانين المنظمة للحياة الاجتماعية، كما أن غياب أو ضعف الارتباط بالمجتمع وباقي مؤسساته هو السبب الرئيسي وراء ظهور الانحراف والجنوح.

ولهذا سوف نرى العناصر الأساسية للرباط الاجتماعي عند هذا العالم وكيف تؤثر في سلوكيات الأفراد.

ينطلق هيرشي في دراسته "أسباب جنوح الأحداث"، من عرضه للأبعاد الأساسية لمشكلة الجنوح والسلوك المنحرف، السائدة في وقته فيقول: "هناك أبعاد أساسية لمشكلة الجنوح والسلوك المنحرف، هي السائدة حالياً، فوفقاً لنظريات الضغط والدوافع فإن الرغبات الحقيقية التي لا يسمح العرف السائد بتلبيتها تدفع الفرد للانحراف".

ووفقاً لنظريات الضغط، فإن الفرد الذي انقطعت صلاته بالنظام المتعارف عليه بشكل ما، يتولد لديه الاستعداد لارتكاب الأفعال المنحرفة.

أما بالنسبة لنظريات الانحراف الثقافي.

فإن الشخص المنحرف يخضع لمجموعة من المقاييس لا يقبلها المجتمع (أو القدر الأكبر منه). (ترافيس هيرشي، دون تاريخ). ثم يضيف هيرشي قائلاً: "وعلى الرغم من أن معظم النظريات الحالية للجنوح والجريمة تحتوي -على الأقل- على بعدين من هذه الأبعاد الثلاثة، وفي بعض الأحيان تشملها جميعاً إلا أن التوفيق بين هذه النظريات غاية في الصعوبة." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

فبينما تفترض نظريات الضبط أن سبب الانحراف يرجع إلى ضعف الصلة أو انقطاعها عن المجتمع ونظامه المتعارف عليه، فإن نظريات الضغط تبني تفسيرها على الضغوط وليس لها ما يبررها كسبب يؤدي إلى الانحراف، ومن ناحية أخرى فإذا كان من المنطقي الافتراض -تماشياً مع نظريات الضغط- أن أي فرد يجب أن يرتبط بشكل ما مع العرف السائد، فمن المعقول الافتراض أن الكثير من الأفراد على عكس ذلك كما تقول نظريات الضبط، وأن الكثيرين ينتمون إلى نظم وأعراف مختلفة كما تفترض نظريات الانحراف الثقافي. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

نستنتج من وراء هذا الكلام والمقارنة التي أجراها العالم "ترافيس هيرشي" أن هناك تباين كبير بين كل من نظريات الضغط التي كانت سائدة في مجال علم الإجرام وعلم الاجتماع الجنائي ونظريات الضبط الاجتماعي التي ركز فيها هذا العالم على بعد واحد وهو "الروابط الاجتماعية".

كذلك حسب هيرشي يصعب بل يستحيل التوفيق بين الأبعاد الثلاثة التي تحتويها نظريات الضغط الاجتماعي:

- الرغبات الحقيقية المرفوضة اجتماعياً ← إلى الانحراف والجريمة.
- انقطاع صلة الفرد بالنظام المتعارف عليه ← إلى الانحراف والجريمة.
- خضوع إلى مجموعة من المقاييس الثقافية المرفوضة اجتماعياً ← بالشخص إلى الانحراف.

في المقابل نجد أن نظريات الضبط الاجتماعي تركز على بعد واحد وهو:

سبب الانحراف يعود إلى ضعف الصلة أو انقطاعها عن المجتمع ونظامه المتعارف عليه، أي ضعف أو انقطاع الروابط الاجتماعية.

وتماشيا مع الخطة التي وضعها "هيرشي" في دراسة الانحراف بأمريكا وبالخصوص في مقاطعة "كونترا كوستا كوينتي" بولاية كاليفورنيا، نجده يبدأ بالتحليل والبحث في النظريات:

- نظريات الضغط.

- نظريات الضبط.

- نظريات الانحراف الثقافي.

فيما يخص نظريات الضغط نجده يقول: "أن نظريات الضبط هي النتيجة التاريخية لإجابات جيدة عن سؤال صعب كان قد طرح "هوبز Hobbes" والذي كان كالاتي:

"لماذا يطيع الأفراد قوانين المجتمع؟" وعلى الرغم من أن هذا السؤال قد أعطى أهمية في تاريخ النظرية السوسيوولوجية فإن القلائل فقط من علماء الاجتماع قد وافقوا على الإجابة التي ساقها "هوبز" عن هذا السؤال وهي "أن الخوف هو أكثر الدوافع التي تمنع الكثيرين من خرق القانون" أو كما يقول "ناي Ney" أنه باستثناء بعض ذوي الطباع الخيرة، فإن الخوف هو الشيء الوحيد الذي يدفع الأفراد للحفاظ على القانون في الوقت الذي قد يحقق فيه خرق القانون ربما ما أو نوعا من المنفعة." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ولكن علماء الاجتماع يختلفون مع هذا الرأي فيقولون إنه نوع من الامتثال -أكثر من الخوف -هو الذي يدفع الناس إلى طاعة القانون فالفرد يحترم القانون لأنه يستمدج قواعد السلوك في داخله بحيث تصبح شيئا داخليا نابعا من ذاته.

وحيث أن الإنسان المستيقظ الضمير يشعر بالالتزام الأخلاقي الذي يدفعه إلى الامتثال سواء كان ذلك في مصلحته أم لا. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

نلاحظ هنا أن الآراء حول الامتثال للقانون وطاعته واحترامه قد انقسمت إلى تيارين وهما: أنصار الإجابة الآخذة بمبدأ الخوف (Peur) والذي يدفع الأفراد للإجابة الإيجابية للقوانين، وأنصار الامتثال النابع عن استمداج قواعد السلوك في داخل الفرد حيث يصبح جزء لا يتجزأ من سلوكياته، وهو نوع من الالتزام الأخلاقي.

ولم يتوقف علماء الاجتماع عند هذا الحد كما يقول العالم "هيرشي" "بل ساقوا برهانا قويا للامتثال للأنظمة والقوانين وهو "الإنسان لديه حساسية عميقة تجاه ما يتوقعه منه الآخرون، وحيث أن الآخرين في مجموعهم يتوقعون الامتثال للقانون، فإن المنحرف يخاطر بشدة برأي الآخرين فيه." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ويواصل "ترافيس هيرشي" تفسيره قائلا: "وبعد أن أثبت علماء الاجتماع أن الإنسان حيواني أخلاقي تتوفر لديه الرغبة في طاعة القوانين، أصبح لزاما عليهم تفسير أسباب انحرافه، فمن الواضح أنه إذا كان الإنسان لديه الرغبة في الامتثال للقوانين، فهو يتعرض لضغط شديد قبل أن يفكر في الانحراف، ووفقا لنظريات الضغط الكلاسيكية، فإن مصدر هذا الضغط هو الرغبات الموجودة لدى الإنسان، فعلى سبيل المثال يرغب الإنسان في تحقيق النجاح كما ينتظر منه الجميع ويحثونه عليه،

ولكنه حين لا يستطيع تحقيقه بالامتثال للقوانين يفقد الأمل ويتحول نتيجة لذلك إلى السلوك المنحرف والجريمة لتحقيق ما يعتقد لديه الحق في امتلاكه." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

بمعنى أن علماء الاجتماع بعد التفسير المبني على الخوف للامتثال للقوانين المنظمة للحياة الاجتماعية، نجدهم ينتقلون إلى تفسير أرقى ردا على طرح هوبز المتمثل في أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان، أي أنهم يسترجعون لهذا الأخير أحد أهم صفاته وهو: إنسانية الإنسان و المتمثلة في ان الإنسان أخلاقي بطبعه، أي أن البعد الأخلاقي هو الذي يمنع الإنسان من عدم الامتثال للقوانين، وعند فشل المنظومة الأخلاقية من السيطرة على أفعال وتصرفات الأفراد، فإنهم يتجهون نحو الانحراف والجريمة، لتحقيق ما فشلوا في تحقيقه، فهم يرون أن من حقهم امتلاك ما فشلوا في كسبه أو الوصول إليه وهم ملتزمين بالقوانين.

ولتدعيم موقفه ورأيه نجد العالم هيرشي يستشهد بما جاء على لسان العالم "روبرت ميرتون" **Merton**، فيقول: "وهكذا تتضح حقيقة أن الإنسان يفترض نظريا أنه أخلاقي، بينما من الناحية التطبيقية فهو يخرق القوانين التي يؤمن بها، وهناك أمثلة عديدة تؤيد هذه النظرية، فمثلا الطموح وهو ميزة كبرى في المجتمع الأمريكي، هو الذي يولد شرا كبيرا وهو السلوك المنحرف." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

بعد هذا نجده ينتقل لتقديم أهم الانتقادات التي تعرضت لها نظرية الضغط، فيقول: يتحتم على واضع نظرية الضغط توضيح الدوافع المؤدية للجنوح بدرجة تكفي لتبرير الأسباب التي أدت إلى تحييد الضوابط الأخلاقية، وعلى قد نجاحه في توضيح هذه الدوافع يتوقف نجاحه في شرح الأسباب التي أدت للجنوح." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ومن الانتقادات الأخرى قوله: "ويعد" الإحباط الشديد" من الدوافع القوية وراء الجنوح، وفي الحقيقة فبالرغم من إعطاء هذا الدافع هذا القدر من الاهتمام كسبب من أسباب الجريمة حيث أنه يمثل ضغطا كبيرا يتسبب في الانحراف، إلا أنه لا من الصعب تفسير غياب هذا الدافع أو ثباته خلال الأيام والأسابيع والشهور التي يتمثل خلالها الحدث المتعرض للإحباط الشديد للعرف والقوانين السائدة. كما أنه من الصعب أيضا على واضع نظرية الضغط تفسير حقيقة أن معظم الأحداث الجانحين يصبحون من محترمي القانون عند بلوغهم سن الرشد، والاشتراطات والمواصفات التي يضعها لنماذجه في هذا الشأن لا تتغير سواء في فترة المراهقة، أو عند بلوغ سن الرشد." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وبعد هذا ينتقل هيرشي لتقديم نقدا آخر، خاص بـ البعد الاقتصادي وإشكالية الجمود الطبقي داخل الطبقة الدنيا، فيقول: "وفي رأي واضع نظرية الضغط، فإن وضع الحدث من الطبقة الدنيا في الهيكل الاقتصادي غير متغير نسبيا، لذا فإن صلاحه بعد ذلك -وهو ما برهنه كثيرا من الدراسات الميدانية -لا يمكن تفسيره على أنه راجع إلى التغيرات في الظروف الأصلية التي أجبرته على الانحراف." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وتعليقا على هذه الانتقادات الموجهة لنظرية الضغط من طرف العالم "ترافيس هيرشي"، نجد مترجم هذا الكتاب الدكتور محمد سلامة محمد غباري يقول: "يقول المؤلف أن نظرية الضغط من النظريات غير المناسبة ومضللة، وأنا أتفق معه في الرأي، وأقول

إنها نظرية ضعيفة لا ترتقي إلى مستوى النظريات الأخرى، حيث أن دوافع الانحراف التي ذكرها صاحب هذه النظرية مثل: الإحباط الشديد، السخط، والحرمان، وخبرات الفشل ما هي إلا عوامل مساعدة وليست أسباب قوية، وقد ذكرت النظريات النفسية الكثير من هذه العوامل." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ثم يستشهد بدراستين فيقول: "وقد أوضح "ألكسندر وهيلي" بعض الأسباب الخفية التي ظهرت من خلال دراستهما المشتركة لأسباب الجريمة، أن وراء السلوك الجانح لشخص اعتاد الجريمة، أربعة هي: 1- التعويض المفرط عن الشعور بالنقص، 2- محاولة التخفيف من حدة الشعور بالذنب، 3- السلوك الانتقامي نكاية بالأم، 4- محاولة إرضاء كافة الدوافع إرضاء كاملا. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

كما أظهرت دراسة أخرى لفتاة اعتادت السرقة المتكررة من المخازن التجارية أن الباعث الخفي وراء هذه السرقات المتكررة كان الشعور بالقيام بعمل خطير يلفت الأنظار من جهة، ومن الجهة الأخرى طلب العقاب، الذي يريح عن النفس الشعور بالذنب." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

نظريات الضبط Control theories

إذا كانت نظريات الضغط تحاول إيجاد إجابة للسؤال الذي طرحه "هوبز" Hobbes، فإن نظريات الضبط تتناول السؤال ذاته، وتفترض نظريات الضغط أن سؤال "هوبز" قد تمت الإجابة عليه وأن السؤال الهام هو "لماذا لا يطيع الناس قوانين المجتمع؟" فهنا تعتبر الامتثال كيفما اتفق، لأن الانحراف هو المشكلة. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وفيما يخص نظريات الضبط فنجد "هيرشي" يقول: أما في نظريات الضبط فإنه لم تتم أبدا الإجابة عن سؤال "هوبز" بصورة مناسبة، ويظل السؤال مطروحا "لماذا يطيع الناس قوانين المجتمع؟" هنا يؤخذ الانحراف كيفما اتفق أي أنه الغالب، بينما الامتثال للقانون هو الذي يحتاج إلى تفسير. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ووفقا لنظرية الضغط فإن الإنسان حيوان أخلاقي، يفسر أخلاقياته الضغط الذي يوضحه النموذج الإنساني. فإذا استبعدت الأخلاقيات، وإذا نظرنا للإنسان على أنه حيوان لا أخلاقي، يصبح الضغط الهائل الذي يدفع للانحراف غير ضروري. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

بعد هذا ينطلق العالم "ترافيس هيرشي" للمقارنة بين كل من نظريات الضغط ونظريات الضبط وهذا حتى يتسنى للقارئ الوقوف على الاختلافات بين هاتين النظريتين فنجد هيرشي يقول: إن ما يميز نظرية الضبط هو عدم التركيز على الدوافع، نظرا لاستبعادها للحاجز الأخلاقي "نحن في وضع يتحتم علينا فيه عند وصف السلوك العام على أنه جانح أو إجرامي، ألا يكون وصفنا هذا بصورة قاطعة، حيث أنه غالبا ما يسفر عن تحقيق الأهداف بطريقة أكثر سهولة وسرعة عن السلوك الأخلاقي." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

نظرية الانحراف الثقافي: Theories of Cultural Deviance

والمجموعة الثالثة من النظريات تفترض أن الناس ليس من طبيعتهم ارتكاب الأفعال المنحرفة، فقد يقوم شخص ما بارتكاب أفعال تعد انحرافا إذا قيس بمقاييس الطبقة المتوسطة، ولكنها بمقاييسه الشخصية لا تعد انحرافا، وبعبارة أخرى فان واضعي النظريات المنتمون لهذه المدرسة، يعتبرون السلوك المنحرف نوعا من الامتثال لمجموعة من المقاييس لا يقبلها المجتمع في معظمه (وهو الأكثر قوة). (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ويواصل شرحه لهذه النظريات فيقول: "إذا كانت مقاييس جماعة ما إيجابية ولكنها غير متمشية مع النظم والأعراف السائدة في المجتمع، فإن سلوك هذه الجماعة سوف يكون معاكسا لمقاييس المجتمع في نطاق واسع. فمن الواضح أنه إذا كان السلوك المنحرف مجرد سلوك لا يرضى عنه أعضاء من خرج المجتمع وليسوا من داخله، فإنه يصبح من غير الضروري افتراض وجود أي قوة انفعالية تتسبب فيه، فالفرد يتعلم كيف يصبح مجرما بنفس الطريقة التي يتعلم بها كيف يعزف الكمان، أو كيف يتعرف على مذاق زبدة الفول السوداني، وبعد الشخص منحرفا بسبب الافراط في استخدام تعريفات مؤيدة لخرقه القانون، عن استخدام تعريفات مؤيدة للقانون." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ولتدعيم موقفه، نجد العالم "ترافيس هيرشي" يستشهد بما قاله العالم الأمريكي ادوين سززلاند (Edwin Sutherland)، فيكتب: لقد كتب أدوين سززلاند فقال: أن محاولات الكثير من العلماء تفسير السلوك الإجرامي باستخدام دوافع عامة، وقيم عامة، أثبتت فعاليتها، مثل دوافع الكفاح للارتقاء بالمكانة الاجتماعية، والدوافع المادية، هذه المحاولات أثبتت عدم جدواها، حيث أنها تفسر السلوك الشرعي، بنفس الدرجة تماما كما تفسر السلوك الإجرامي." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

بعد استعراض النظريات السابقة في تفسير الجناح رأينا كيف يصعب رد هذه النظرية إلى عامل واحد، ولذلك أقول إنه يجب علينا عدم الالتزام بنظرية واحدة، بل علينا أن نأخذ من كل نظرية ما يناسب تفسير السلوك الجناح حتى نخرج بنظريات تكاملية تصل بنا في النهاية إلى مجموعة من العوامل والأسباب التي تفسر السلوك المنحرف. ولذلك يرى أصحاب النظريات التكاملية أن الجناح ما هو إلا محصلة لتفاعل مجموعة من العوامل الذاتية والبيئية. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وإذا كانت أهمية المنهج التكاملي في العلوم الاجتماعية أصبح أمرا لا خلاف فيه، فإن مرجع ذلك إلى القول بأن السبب الواحد يفسد التفسير العلمي في مجال العلاقات الإنسانية التي تتشكل من عديد من العوامل والأسباب المتشابكة. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

وعليه، نقول بأن العالم "ترافيس هيرشي" قد أصاب عند قوله عدم الاعتماد على نظرية واحدة أو عامل (سبب) واحد في تفسير الانحراف والجريمة بل اعتمد العديد من العوامل في التفسير، وهذا هو التوجه الصحيح والصائب اليوم في التفسير العلمي للجناح، لأن الدراسات الحديثة بينت قصور النظريات الأحادية التي تعتمد على عامل واحد في التفسير، وأن التوجه الحديث هو الانطلاق من عدة نظريات أو عوامل في تفسير الانحراف والجريمة. أي ما يسمى بالتفسير المتعدد العوامل.

هذا وتعد كذلك نظرية الروابط الاجتماعية التي نادى بها "ترافيس هيرشي" من النظريات الوظيفية، حيث تسلط الضوء على وظائف الروابط الاجتماعية في الحد من الميل أو الإقبال على السلوكيات المنحرفة والإجرامية.

وقد جاء في "موسوعة إليا"، نظرية الضبط الاجتماعي - للإشارة أن لهذه النظرية العديد من التسميات قد سبق الإشارة إليها أعلاه - والتي طورها ترافيس هيرشي، هي نوع من النظرية الوظيفية التي تشير إلى أن الانحراف يحدث عندما يضعف ارتباط الشخص أو الجماعة بالروابط الاجتماعية، ووفقا لهذا الرأي يهتم الناس بما يفكر به الآخرون ويتوافقون مع التوقعات الاجتماعية بسبب ارتباطهم بالآخرين وما يتوقعه الآخرون منهم، والتنشئة الاجتماعية مهمة في إنتاج التوافق مع القواعد الاجتماعية، وعندما ينكسر هذا التوافق يحدث الانحراف. (محمد الدرايسية، 2020).

وتركز نظرية التحكم الاجتماعي على كيفية ارتباط الانحرافات، أو عدم ارتباطها بنظم القيم المشتركة، وما هي المواقف التي تحرق التزام الناس بهذه القيم، وتشير هذه النظرية أيضا إلى أن معظم الناس ربما يشعرون ببعض الاندفاع تجاه السلوك المنحرف في وقت ما، لكن ارتباطهم بالقواعد الاجتماعية يمنعهم من المشاركة في السلوك المنحرف. " (محمد الدرايسية، 2020).

تعد هنا القواعد الاجتماعية أو المعايير بمثابة الصمام المانع من الوقوع في أحضان الانحراف والجريمة، كما أن ارتباط الفرد بالجماعة وعمق هذا الارتباط هما اللذان يحددان إقباله من عدمه على الانحراف والجريمة.

الأسس المنهجية المعتمدة من طرف العالم هيرشي:

1- العينة المعتمدة:

شملت الدراسة التطبيقية التي أجراها العالم هيرشي على عينة بلغ حجمها 17500 تلميذا وتلميذة، منهم 1479 من الصبيان الزوج و2126 من الصبيان غير الزوج و1079 بنتا من الزوج و864 بنتا من غير الزوج. (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

2- الأدوات المنهجية المعتمدة:

بعدها ينتقل لعرض الأدوات (التقنيات المعتمدة في الدراسة والتي كانت كالآتي:

1- السجلات الرسمية.

2- الاستبيان.

3- البيانات المستمدة من سجلات البوليس.

وقد عمل صاحب هذه الدراسة على تحليل العلاقات التالية للمبحوثين:

- الارتباط بالوالدين.

- الارتباط بالمدرسة.

- الارتباط بالأصدقاء.

- الالتزام بالخطوط التقليدية للجنوح.

- الاشتراك في الأنشطة التقليدية.

- المعتقدات.

3-الفروض:

وقد قدم العالم هيرشي الاقتراح الرباعي التالي الخاص بمقومات نظريته:

1-الارتباط(Attachement): من أجل أن يكون هناك ارتباط يجب أولاً أن يكون الرابط العاطفي ما بين الوالدين والطفل قائماً بصفة جيدة وأن هذا الأخير يجب أن ينشط مراراً. يجب أن يشعر الطفل أو يحس بأنه يمكن أن يعتمد على والدي. هذا ما يجعله مستعداً للتضحية أو بذل جهود مضعفة من أجل الحفاظ على حب وحنان الوالدين. الطفل في سن معين يتصرف إيجابياً من أجل كسب إعجاب الوالدين -إرضاء الوالدين -هذا يشجعه. مع مرور الزمن الطفل يحصل ينضج، الارتباط يعم والفرد يقيم روابط مع أصدقائه وأساتذته. عندما نكون مرتبطين مع فرد آخر، نراعي جيداً حاجاته، الشيء الذي يضمن علاقة عميقة وأوسع. غياب الارتباط الحقيقي مع الآخرين يجلب نوع من حرية الفعل والتصرف والتي غالباً ما تكون سلبية. المنحرفين أو السيكوباتين أقل اهتماماً بآراء الآخرين والذي هو صحيح بالنسبة كذلك للمنحرفين مع منحرفين آخرين. بالنسبة لهم التبادلات تتوقف عند مستوى العطاء/العطاء.

2-الالتزام(Engagement): الالتزام يرتبط بالاستثمارات التي يقوم بها الفرد في عدة مجالات. الالتزام في إطار التطابق يجعل الفرد الذي استثمر لمدة، يمكن أن يخسر الكثير عندما يسيء التصرف، فهو يهدد -التصرف- كل ما بناه منذ مدة. في البيئة الأسرية الطفل يسعى على الحفاظ على علاقات جيدة مع تعديل تصرفه. في البيئة المدرسي، الشاب يعمل على تجنب الغش أو القيام بتصرفات طائشة والتي يمكن أن تضيع له استثماره.

3-الانغماس(Implication): المشاركة في النشاطات أو الأعمال النافعة تجعل الفرد يملك القليل من الوقت من أجل القيام بأفعال سيئة، انه مبدأ الحكمة القائلة: "الفراغ هو أم كل العلل -العيوب". كل ما يكون الشاب منشغلاً بواجباته، أقل ما يسقط في أحضان الانحراف. الارتباط العائلي، يعني به وجود نشاطات مشتركة بين كل من الوالدين والأبناء وقضاء الوقت معاً. في بعض العائلات الوالدين يقومون بنشاطات قليلة مع أبنائهم، بسبب الكسل، غياب الاهتمام أو بسبب الصراعات الدائمة.

4-الاعتقاد في القيم: (Valeurs): الالتحام مع المعايير والقيم الاجتماعية يشكل سور مانع وفعال أمام الانحراف. يجب الإشارة أن العديد من المنحرفين يوافقون على الالتزام بالمعايير والقيم الاجتماعية إلا أنهم لا يطبقونها من أجل توجيه تصرفاتهم. يلزم إذن دفع الشاب إلى إدماج القيم الاجتماعية، كاحترام الآخرين، إسباقية الفعل على النتيجة ... إلخ، إذا كان تعلم القيم الحيدة مفروغ منه، فإن هناك بعض الأولياء يفضلون مواقف وتصرفات غير اجتماعية. بعض الأولياء ينقلون لأبنائهم بصفة واعية أو غير واعية أحكام مسبقة كالعنصرية، كراهية المثالية الجنسية، التحيز الجنسي لأبنائهم، وهي أحكام مسبقة تغذي السلوكيات العنيفة.¹

¹-Ibid, p.p 207 - 208.

إنما هذه العناصر الأربعة التي تمارس الضبط الاجتماعي على الفرد هذه النظرية الإيتولوجية (التي تبحث في أسباب الانحراف) للانحراف مازالت إلى يومنا هذا أكثر شعبية في علم الإجرام، لقد تم إخضاعها للتجارب والموافق عليها بفضل العديد من الدراسات الأميركية.²

النتائج العامة لدراسة "ترافيس هيرشي" Travis Hirshi:

1- إيضاح التناقض بين كل من نظرية الضبط الاجتماعي، ونظرية الضغط، ونظرية الانحراف الثقافي فيما يختص بالجنوح، لقد حاولت في جميع ما ذكرته في الكتابة أن أكد إيماني في أن ما تفترضه هذه النظريات متضارب بصفة أساسية. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

2- أن علماء الاجتماع الأوائل في هذا البلد كانوا معينين أساسا بالأخلاقيات، فعندما يقررون امتداح تصرف ما أو شجبه فإنهم كانوا يعيشون ذلك على مدى الإحساس بالاستقامة، وكانوا يميلون إلى إرجاع الفعل الشرير إلى شرور أخرى، معتبرين أنه إذا كان أحد التصرفات يعد خطأ فإن ذلك يرجع إلى حدوث خطأ في عدد من الأشياء الأخرى. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

النتيجة لهذا النوع من الممارسة السوسولوجية والممكن أن نسميها بالمعيارية، كانت حسب "ترافيس هيرشي" أن الجريمة تنتج عن فشل المجتمع في استئناس الطبيعة الحيوانية للإنسان والسيطرة عليها، وكانت نظرياتهم في الأساس هي نظريات الضبط الاجتماعي، ونظرية الضغط، ونظرية الانحراف الثقافي... (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وعليه ف نظرية هيرشي هي تتأسس على أنقاض النظريات: الضبط الاجتماعي، نظرية الضغط ونظرية الانحراف الثقافي، أي أنها جاءت كرد فعل لإخفاق هذه النظريات الثلاثة في تفسير السلوك الانحرافي والإجرامي.

ثم يضيف ترافيس هيرشي: "و يتمسك واضعوا نظرية الضغط بافتراض الإجماع الأخلاقي الذي يعتقد من سبقوه، ولكنه يرفض الرأي القائل أن الدافع للانحراف موجود في الطبيعة البشرية، وعلى العكس من ذلك فهو ينادي بالرأي الذي يقول أن الإنسان يرغب في الامتثال وأنه سوف يمثل للقانون إلا إذا اضطر أن يفعل عكس هذا نتيجة عدم تحقيق بعض رغباته المشروعة، ولقد أعلن "كنجزي ديفيز" Kingsley Davis سنة 1938 عن اعتقاده بأن الشر يولد الشر وأن كل شرور المجتمع الأمريكي لها جذورها في الظروف السكنية والاجتماعية البائسة، وفي نفس المعلم، أشار "روبرت ميرتون" R.Merton إلى أن "الطموح وهو من أعظم الصفات الخيرة في المجتمع يولد شرا كبيرا وهو السلوك المنحرف." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ثم يواصل ترافيس هيرشي كلامه منتقدا نظرية الانحراف الثقافي فيقول: 'ولقد أدى ذلك إلى محاولة كثير من الباحثين في مجال السلوك المنحرف التأكيد على فكرة أن الخير يمكن أن يسبب الشر، وأن الشر غالبا ما يكون نتيجة للخير، وكان رد فعل واضع نظرية الانحراف الثقافي أكثر تعصبا، فلقد ركز على الافتراض الذي تضمنته النظرية السابقة من أن هناك مستوى واحد للخير والسلوك المقبول لدى المجتمع الأمريكي هو مستوى أخلاقيات الطبقة المتوسطة، فقد أشار إلى أن هناك كثيرا من الجماعات الفرعية في المجتمع

²-Ibid, p 208.

الأمريكي تعرف الفرد على المستوى الذي تتبعه الجماعة التي ينتمي إليها، قد يضعه تلقائيا في صراع مع مستويات المجتمع الأوسع." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

فعلا وكما وجدناه عند أغلبية رواد مدرسة شيكاغو وعلى رأسهم كل من كيفورد شو وأوهلين وألبير كوهن، فإن الطبقة الوسطى في المجتمع الأمريكي تعد النموذج الذي يقاس عليه سلوكيات أفراد الطبقات الأخرى، وأن المعايير والقواعد المهيمنة هي الخاصة بهذه الطبقة، وكل سلوك لا يتماشى مع معايير الطبقة الوسطى في المجتمع الأمريكي هو سلوك منحرف.

ومن الانتقادات التي قدمها "هيرشي" بناء على النتائج التي توصل إليها لنظرية الضغط، قوله: "وفي رأيي فإن نظرية الضغط هي أكثر النظريات تناقضا مع البيانات التي قدمتها، فوفقا لما تفترضه هذه النظرية في تركيزها على الطبقة الاجتماعية في معظم الأحوال، فهي تعتمد على افتراض وجود علاقة قوية بين الطبقة الاجتماعية وبين الجنوح، ولكن المشكلة التي تواجه معظم هذه النظريات تبدأ في الظهور عندما لا يكون هناك علاقة هامة بين الطبقة الاجتماعية والجنوح." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ومن النتائج التي توصل إليها أيضا العالم "ترافيس هيرشي" والتي تدحض نظريات الضغط هي تلك المتعلقة بكل من "الأسرة والاعتقادات الأخلاقية والتي تشير إلى عدم جدوى نظرية الضغط، أن كثيرا من النتائج التي استشهدنا بها في دراستنا تشير إلى أن المصادر المزعومة للضغط ليس شخصا لديه الاقتناع بقدراته في مواجهة التمييز، وهو لا يلقي اللوم على المجتمع أكثر مما يلوم نفسه على ما يقع فيه من أخطاء، وهو لا يطمح بقوة نحو الربح المادي في الوقت الذي يرفض فيه أسلوب حياة الطبقة المتوسطة." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ويضيف "ترافيس هيرشي": "وعموما فإن القيم والطموحات والأهداف التي يستخدمها واضع نظرية الضغط كأسباب للضغط تتصل بالجنوح في اتجاه مغاير للاتجاه الذي تنبأ به عند تثبيت التوقعات الواقعية، فكلما زاد قبول الشخص لأهداف تحقيق النجاح كلما قلت احتمالات جنوحه، بغض النظر عن احتمالات تحقيق هذه الأهداف في يوم من الأيام." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

ومن النتائج الهامة التي توصل إليها "هيرشي" في دراسته هذه للسلوك الانحرافي هي انه: "ليس صحيحا أن الطموح يقود إلى الجريمة، على العكس فالطموح يقلل احتمالات الجريمة، وليس صحيحا أن الشخص المراهق يميل أن ينجح إلى المدى الذي يجعله يهتم بالتقليد السائد، على العكس كلما قل اهتمامه بالعرف السائد كلما زادت احتمالات جنوحه." (ترافيس هيرشي، دون تاريخ).

هذه النتيجة تفند نظرية الانحراف الثقافي، وخاصة ما جاء به العالم ميرتون حول قضية الانحراف الثقافي، وخاصة تلك المتعلقة بقضية الأهداف والوسائل وتضاربها المؤدي إلى الانحراف والجنوح.

ويواصل هيرشي كلامه قائلا: "أن الصراعات بين الطموحات وبين التوقعات الواقعية قد تكون هي السبب في الكثير من المعاناة الفكرية في بعض قطاعات المجتمع، ولكنها ليست السبب وراء ارتكاب الأفعال الجانحة بواسطة المراهقين، وعلى هذا فإن

نظريات الجنوح النابعة من ردود فعل الضغط طبقا للفروض الأخلاقية المعترف بها، ويتمثل ضعفها في أنها لا تتمشى مع البيانات والنظريات النابعة من نظريات الانحراف الثقافي ويعب اختبارها أكثر من نظريات الضغط. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

بعد هذا نجد العالم "هيرشي" يستشهد بآراء العالم م"ماتزا" Matza الذي يقول: " ان الاسهام الرئيسي لعلم الاجتماع في فهم معنى الانحراف يتضمن فكرتين أساسيتين: الأولى هي أن الانحراف المزمّن ليس نشاطا منفردا ولكنه يتعرّع وينمو عندما يتلقى الدعم من الجماعة. والثانية هي أن الانحراف ليس من مبتكرات الفرد أو الجماعة، ولكنه له تاريخ طويل في بعض المناطق." (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وكتعليق على آراء "ماتزا" التي استشهد بها العالم "هيرشي" في تفسيره للانحراف، نقول بأنها تنطبق كذلك على السلوك الإجرامي. وفيما يخص مثلا الإرهاب المسلح الذي عاشته الجزائر خلال مرحلة التسعينات من القرن الماضي والذي أحصد أرواح الآلاف من الأبرياء ولم يسلم منه لا الرضع ولا الشيوخ، ولا النساء ولا النبات ولا الحيوان، فإنه لولا الدعم الذي تلقته الجماعات الإرهابية المسلحة، من طرف المواطنين، وهذا باستغلال العامل الديني من رف الإرهابيين وإعطائهم الصبغة القدسية لأعمالهم، لما انتشر هذا السلوك المشين في كافة أرجاء البلاد ولما دام كل هذه السنوات.

كذلك فيما يخص العامل الثاني الذي اعتمده "ماتزا" Matza والمتمثل في أن هذا السلوك غير الاجتماعي ليس من اختراعات الفرد أو الجماعات، بل هو قديم وموجود منذ أن وجد الإنسان، هذه حقيقة، لا يمكن نكرانها وهي أن الانحراف والجريمة ليس بالأفعال الحديثة العهد، بل قديمة قدم الإنسان، وفيما يخص الإرهاب الديني المسلح، نذكر على سبيل المثال ما قامت به جماعة "الحشاشين" في البلاد الإسلامية والقرامطة وغيرها من الفرق الدينية المتشددة والمتعصبة. نفس الملاحظة تنطبق على الإرهاب المسلح في أوروبا حيث كان ولا يزال تاريخ هذه المجتمعات تاريخ إرهابي بامتياز، ويمكن ذكر ما قامت به الدول الأوربية من مجازر في حق الشعوب الأخرى خلال مرحلة الاستعمار وما اصطلح على تسميته عثا بالاكشافات الجغرافية.

ومن الانتقادات التي وجهها العالم "ترافيس هيرشي" لأنصار النظرية الخاصة بالانحراف الثقافي قوله: "أن الفكرة القائلة إن التأثيرات الإجرامية هي التي تتدخل لكي تتسبب في جنوح الطفل وأن الإجرام ليس من صنع الفرد هي فكرة تتبع أيضا من نقطة الانطلاق التي يعتمد عليها واضع النظرية الخاصة بالانحراف الثقافي، وفي كلا الحالتين فالنتيجة واحدة وهي أن غياب الضوابط يزيد من احتمالات الجنوح وبغض النظر عن وجود تقاليد جماعية للجنوح."

"وعلى الرغم من ان التأيد الاجتماعي يزيد من احتمالات ارتكاب الأفعال الجانحة، فإن الفكرة القائلة إن الطفل يكتسب الجنوح عن طريق انخراطه في علاقات ودية هي فكرة فيها كثير من المغالاة" (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

نلاحظ هنا كذلك كيف يفند الباحث هيرشي الفكرة القائلة بالمخالطة ودور جماعة الرفاق في الدفع بالأطفال إلى الانحراف، فعلا هناك الكثير من المبالغة من طرف هذه النظرية المعتمدة العلاقات الودية ودور جماعة الرفاق في تنمية السلوك المنحرف عند الأطفال، لأن هذه النظرية، ألغت كل من الوعي الذي يتمتع به الفرد، ونوع الشخصية التي يتصف بها، بالإضافة الى انه ليس كل

الأطفال لهم نفس الخصائص النفسية والاجتماعية، بالإضافة الى نوعية و محتوى التنشئة التي تلقوها وغيرها من العوامل الأخرى التي قد تشكل حاجزا مانعا لانحرفهم.

بعد هذا ينتقل العالم "ترافيس هيرشي" لنقد نظرية الضبط الاجتماعي وهذا بناء على النتائج التي توصل إليها من خلال دراسته المعنونة "أسباب جنوح الأحداث"، فيقول: ونظريات الضبط الاجتماعي التي ندافع عنها لم تسلم من النقد، والصعوبة الأولى التي وجهتها كانت تقليلها لأهمية عنصر الصداقة، فالعمليات الجماعية تعد من الأسباب الهامة وراء الجنوح. والتأثير التلقائي لهذه العمليات لا يمكن ان تنبئ عنه الصفات الفردية للأشخاص، لقد قللت النظرية من أهمية تأثير الأصدقاء الجانحين بينما بالغت في تقديرها لمغزى الاندماج في الأنشطة التقليدية... (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

نرى نظرية الضبط الاجتماعي، قد اعتمدت على عامل الضبط مهملة متناسية بذلك باقي العوامل الأخرى المفسرة للجريمة والانحراف. وهذا ما رأيناه مثلا عند العديد من أنصار هذه النظرية حيث تجاهلوا تماما دور ونوعية الأصدقاء، وعمق الصداقة التي تجمع ما بين الأطفال، وكيف يمكن لها أن تتفوق على الرابطة الأسرية مثلا، كما أشار إليه "ألبير كوهن" ومن قبله العالم "فريدريك تراشر" في دراسته الشهيرة حول العصابة.

مواصلنا نقده لنظرية الضبط الاجتماعي نجده يقول: "ونظرية الضبط الاجتماعي كما هو معبر عنها هنا يمكن أن يؤدي بنا إلى فهم هذه العلاقات، ولكنها تترك الكثير دون تفسير وأني على ثقة أن هذه العمليات التي تؤثر من خلالها هذه المتغيرات على الجنوح تعبر عنها النظرية بوضوح، فجميعها تبحث السبب الذي يدفع بعض الناس لارتكاب الأفعال الجانحة، وهذا الاهتمام يهاجمه البعض، فقد "كتب هوارد بيكر" Howard Becker قائلا: "أن ما يريد الرجل العادي معرفته عن المنحرفين هو: لما يفعلون ذلك؟ وما الذي يدفعهم لارتكاب السلوك الممنوع؟" (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

ثم يضيف "أن ما يريد "بيكر" وغيره من النقاد أن يعرفوه هو لماذا يقدم الأشخاص المنحرفون على ارتكاب الأفعال الجانحة؟ وما الذي يدفع بعض علماء الجريمة لأن يطرحوا هذا السؤال؟ فعندما يطرح النقاد هذه الأسئلة فهم بذلك يقبلون الافتراض البديهي وهو أن هناك شيئا كامنا في هؤلاء الذين يخالفون القانون يدفعهم للانحراف، وهم بذلك وافقون على الافتراض البديهي من أن الأفكار الشريرة لها جذورا شريرة. (ترافيس هيرشي ،دون تاريخ).

وختما لعرضه لأهم النتائج التي توصل إليها هذا العالم نجده يعرض مقولة مدير مكتب التحقيقات الفدرالية الأمريكية F.B.I، فيقول: "وكما يقول "جي ادجار هوفر" Edgar Hoover: "أن المجرمين ليسوا مجرد مجرمين، فهم كما يعبر عنهم الزبد الذي يطفو على وعاء العالم السفلي" عالم الفساد والرذيلة الذي يغلي أو "جرذان المجتمع" أو "حتالة المجتمع" أو أنهم "الجرذان التي تخرق سفينة السياسة" أو أنهم "طفيليات على شكل بشر"

قائمة المراجع :

1. السيد علي شتا، علم الاجتماع الجنائي، المكتبة المصرية، الاسكندرية، مصر، ط3، 1998، ص.89
2. سامية حسن الساعاتي، الجريمة والمجتمع، بحوث في علم الاجتماع الجنائي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1982، ص.92
3. ترافيس هيرشي، أسباب جنوح الاحداث، ترجمة الدكتور محمد سلامة محمد غباري، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر، بدون تاريخ، ص.6
4. نفس المرجع، ص. 228، نقلا عن:
5. Sheldon Glueck and Eleanor « Unraveling Juvenile Delinquency » Cambridge Harvard University, Press, 1950, p.164
6. نفس المرجع، ص. 281، نقلا عن:
7. M.Neumeyer, "Juvenile Delinquency in modern society", New-York D. Van Nostrand Cow, Iuc, 1961, p. 214.
8. Marc Ouimet : les causes du crime, op. Cit. p.207¹
9. محمد الدرايسة، كيف يفسر علم الاجتماع السلوك المنحرف؟ موسوعة إلبا <http://eliapedia.com/social-siene> تاريخ التصفح: 2020/05/29